

الولادات المتخيَّلة لأئمة اهل البيت في المدونات الشيعية (الخلق من نور انموذجا)
The imaginary births of the imams of Ahl al-Bayt in Shiite blogs
(Creation from Light as an example)

أ . د . سامي جودة الزيدي *

جامعة ذي قار / مركز ذي قار للدراسات التاريخية والآثار / العراق

Salbeed2@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/04/11 تاريخ القبول: 2024/04/27 تاريخ النشر: 2024/11/26

الملخص

عمل المتخيل الروائي الشيعي على حشد المدونة التراثية بالروايات المتخيلة بما يتلاءم والعقيدة التي يؤسس لها ، مستخدما رمزيات تاريخية ، عمل على تحريكها وفق منظومة متخيلة، البحث يحاول ان يبين الكيفية التي صيغت فيها الروايات وكيف تسلل المتخيل اليها، ونعمل على تفكيك السرد الروائي ليتبين لنا الدواعي التي دعت الى اقحام السرد الاسطوري وخلطه بالتاريخ لإنتاج بيئة معرفية مخالفة تمام للحقيقة الواقعية، كما يبحث المقال في رؤية السرد الروائي الشيعي اتجاه الآخر ، المختلف ، بعد تصوير سرد متخيل يتجاوز التاريخ الى الاسطورة ، لتظهر قيمة العلاقة بين الذات الشيعية ، والآخر ، الذي لا يؤمن بالطاعة والولاء لمنظومة الغيبي الذي اسست له تلك الروايات .

لقد حاول البحث تفكيك هذه السردية المتخيلة للوقوف على الغاية التي وضعت من اجلها كل هذه الروايات الاسطورية .

الكلمات المفتاحية : الولادات ، المتخيل ، ائمة ، اهل البيت ، الخلق ، نور

Abstract

The Shiite novelist imagination worked to mobilize the heritage blog with imagined narratives in a way that was consistent with the doctrine that it founded, using historical symbols, and worked to move them according to an imagined system. The research attempts to show how the novels were formulated and how the imagination infiltrated them, and we work to deconstruct the fictional narrative to reveal to us the reasons. Which called for interjecting the mythological narrative and mixing it with history to produce a cognitive environment that is completely contrary to the actual truth. The article also examines the Shiite narrative narrative's vision of the other, the different, after depicting an imagined narrative that goes beyond history to myth, to show the value of the relationship between the Shiite self and the other, who does not believe. By obedience and loyalty to the unseen system on which these narratives were founded.

The research attempted to dismantle this imagined narrative to determine the purpose for which all these mythical narratives were developed

Keywords: births, the imaginary, imams, Ahl al-Bayt, creation, light

المقدمة :

نقلت كتب الشيعة العديد من الروايات التي تحدثت بإسهاب عن ولادات أئمة اهل البيت ولم تكن هذه الولادات خالية من البُعد الاسطوري، اذ نلاحظ في ثناياها الكثير من المتخيّل السردى، فتارة نجده يتماهى مع ولادة الانبياء المعجزة ، وتارة اخرى تصاغ لهم ولادات خارج التاريخ بغية جعلهم مختلفين عن البشر الاخرين. فهم لم يخلقوا بنفس الطريقة التي خلقت منها البشرية، فمرة خلقوا من نور، واخرى من طين مختلف عن طين الأدميين، وثالثة خلقوا قبل خلق البشرية وكانوا اشباحا تسبح حول العرش . ولسنا هنا بصدد بيان الطريقة التي تم خلقهم فيها، اذ اننا جميعا نعلم تماما انهم بشر خلقوا كما خلق البشر الاخرين، ولسنا بصدد تخطئة او تصويب آلية الخلق التي اشارات اليها الروايات، انما نحاول ان نبين الكيفية التي صيغت فيها الروايات وكيف تسلل المتخيّل اليها، ونعمل على تفكيك السرد الروائي ليتبين لنا الدواعي التي دعت الى اقحام السرد الاسطوري وخلطه بالتاريخ لإنتاج بيئة معرفية مخالفة تمام للحقيقة الواقعية، فالتاريخ واقع عملي سلوكي لحركة الانسان ضمن الزمان والمكان المعينين، اما المتخيّل فهو صياغات يمارس الخيال فيها مساحة واسعة يتخطى الواقع الى انتاج ابعاد غيبية خارج الزمان والمكان، يعتمد فيها الرموز والدلالات ، رغم بقاء الصياغات التاريخية قائمة لكن تحريكها يتم على وفق متخيّل الرواة .

اولا : الخلق من نور :

ابتدعت المؤلفات الشيعية انواع من الروايات التي تشير الى طريقة مختلفة في خلق أئمة اهل البيت وشيعتهم عما عليه البشر الاخرين، فقد شحنت المؤلفات بالعديد من الروايات التي تدعي ان الائمة وشيعتهم خلقوا من نور، ثم انهم خلطوا ومزجوا بالطين الخاص ليصبحوا مميزين عن غيرهم بالخلقة .

تأثر الشيعة الاوائل من الاخباريين ومن المفوضة ، بالغنوصية الباطنية والتي انتشرت تأثيرها آنذاك على اديان الغرب والشرق ، كونها فكرة تدعو الى الباطن من خلال الكشف والالهام ، لان العقل في مفهومها لا يقدر على ادراك المعرفة . ولعل من بين من اخذ بهذه الافكار هي الديانات الفارسية وباقي ديانات الشرق القديم ، ويبدو واضحا تأثير الفكر الغنوصي (العرفاني) كما عرف عند المتصوفة المسلمين ، على كثير من المذاهب الاسلامية لا سيما الصوفية والشيعة . فكان التأويل الباطني حاضر في التفسير الشيعي وكذلك الصوفي ، وان الكثير من العقائد الشيعية بنيت على الباطن والتأويل . ولعل من سهل لهذه الفكرة بالانتشار والنضوج في الفكر الشيعي ، هو انتشار الافكار الباطنية في الاسلام ، كما ان المسلمين توسعوا كثيرا في قراءاتهم للنص القرآن ، وتشعبت تفسيراتهم له ، مما اعطى مساحة واسعة للفكر الباطني ان يتمدد دون عائق . ولنأخذ مثلا على ذلك من تفسير القمي لنرى ما ورد فيه من تأويلات باطنية للقرآن: (جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ

بَابُ(1) قال نزلت في الأئمة عليهم السلام وشيعتهم الذين صبروا وحدثني أبي عن ابن أبي عمير عن جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال نحن صبرنا وشيعتنا اصبر منا لأننا صبرنا بعلم وصبروا على ما لا يعلمون وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ)(2) قال الذين آمنوا الشيعة وذكر الله أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام ثم قال: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ)(3) اي حسن مرجع وحدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن علي ابن رباب عن أبي عبيدة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : طوبى شجرة في الجنة في دار أمير المؤمنين عليه السلام وليس أحد من شيعته إلا وفي داره غصن من أغصانها وورقة من أوراقها يستظل تحتها أمة من الأمم وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام فأنكرت ذلك عائشة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا عائشة اني لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فأدنانني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها فأكلت فحول الله ذلك ماء في ظهري فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة فما قبلتها قط إلا وجدت رائحة شجرة طوبى منها (4) .

فقد حاولت الروايات ان تصنع متخيّل يميز اهل البيت عن سائر البشر، فقد خلقوا قبل ان تخلق السماء والارض، وقبل ان يخلق آدم بآلاف السنين، وانهم كانوا انوارا يدورون حول العرش ثم ان الله انزلهم بعد ان خلق آدم في الاصلاب المطهرة وكانوا ينتقلون من صلب الى صلب ومن رحم الى رحم، وكانت انوارهم تظهر في وجوه من يصبحون في صلبه . ففي رواية في بحار الانوار ينقلها عن الامام الصادق وقد سأله المفضل(5) ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين؟ (قال: كنا أنوارا حول العرش نسبح الله ونقدسه حتى خلق الله سبحانه الملائكة فقال لهم: سبحوا، فقالوا: يا ربنا لا علم لنا ، فقال لنا: سبحوا، فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، ألا إنا خلقنا من نور الله ، وخلق شيعتنا من دون ذلك النور فإذا كان يوم القيامة التحقت السفلى بالعليا، ثم قرن عليه السلام بين أصبعيه السبابة والوسطى وقال: كهاتين)(6) .

الرواية تحمل في سردها ابعاد متعالية فهي تحاول ان ترتفع بمقام النبي واهل البيت وشيعتهم الى رتبة المتعالي وتجعل خلقهم من نور الله بشكل مباشر، فهي تؤسس الى ايدولوجية معرفية تركز فيها على خلق المغايرة بين صنفين من البشر الموالي والمخالف، متجاهلة ان الارض فيها بشر آخرين غير الشيعة والسنة، فهؤلاء بعيدين عن منطقة الصراع المذهبي المحتدم بينهم، او لعلهم لا يعرفون ان في الارض من هم سنة / وشيعة في مفهوم المغايرة الاسلامي.

ان صناعة روايات الخلق من نور تستبطن في داخلها ثنائية لا تظهر بشكل جلي فهي تحاول ان تؤكد ان ما يقابل النور هو الظلمة، وهذه الظلمة هي الاساس الذي خلق منه المغاير المختلف الذي يرفض الموالاة، والذي استندت عليه الروايات في ان الظلمة لا بد ان تكون مصدر الشر، ونهاية الشر لا بد ان تكون الى النار، وان قلوب اهل الظلمة وارواحهم تنطوي عليها عدم الموالاة لكونهم خلقوا من تلك الظلمة الباهتة التي لا يمكن لها ان تدرك سر اهل البيت

وطاعتهم. ففي رواية تنقل عن الامام علي بن ابي طالب ، أنهم خلقوا من نور الله، وخلق شيعتهم من شعاع ذلك النور، لذا فهم أصفاء وأبرار وأطهار متوسمون، وان نور علي واهل بيته يضيء على غيرهم كالقمر في الليلة الظلماء⁽⁷⁾ . لقد قرنت الروايات خلق الائمة بخلق الشيعة (المخلوقات النورانية) فربط الاتباع بسادتهم تعطيهم مزية التفاضل على الآخر، وان الخلق التالي (الشيعة) من فاضل النور واشعاع الائمة يجعلهم في مرتبة التعالي والتمايز على الآخر المخلوق من الظلمة والذي لا يمتلك القدرة على المزاحمة لعدم امتلاكه خاصية النور الالهي، فهو متدني بحكم خلقيته المتدنية.

ان معايير التفاضل التي تضعها الروايات بين الأنا والآخر، الشيعي / السني، هي عدم المولاة والطاعة للائمة، الذي يترتب عليه التبرئة من المغاير اللاموالي، لذا كانت رمزية النور التي عملت الروايات المتخيلة على انتاجها تكمن في ان ادراك اهمية المولاة والطاعة للائمة تضعك في محيط النور الذي قد يظهر جليا واضحا في وجوه المؤمنين ويختفي كليا في وجوه المنكرين لتلك الولاية والامامة. فمصطلح المؤمنين عند الشيعة يختص فقط فيمن يوالي اهل البيت، اما غير المؤمنين فهم من ينكرون الامامة والمولاة . في حديث عن الصادق: يترحم فيه على شيعة اهل البيت ويقول : (والله هم المؤمنون)⁽⁸⁾ . وفي حديث اخر تنقله حبابة الوالبيّة⁽⁹⁾ عن الحسين قوله: ان ليس على الارض من الناس على ملة ابراهيم غير اهل البيت وشيعتهم وان غيرهم براء⁽¹⁰⁾ . وفي حديث دار بين الامام الصادق وابو بصير⁽¹¹⁾ اذ قال الصادق: ان شيعة اهل البيت تسقط عنهم الذنوب كما تسقط الاوراق من الشجر بفعل الريح في اوانه وان الله والملائكة يسقطونها⁽¹²⁾ . والاغرب من ذلك ان المغاير الذي لا يؤمن بالطاعة والولاية يُعد ابن زنا وابن بغية فقد جاء في الروايات (ان الناس كلهم اولاد بغايا، ما خلا شيعتنا)⁽¹³⁾ وقد علق المازندراني في شرح الكافي على الرواية بقوله: (وهو صريح في ان مخالفينا اولاد زنا)⁽¹⁴⁾ . ولعل هذه الآراء لا يمكن ان تكون اراء ائمة اهل البيت بما عرف عنهم من اخلاق سامية انما هي آراء المحدثين والفقهاء وعلماء المذهب والتي نسبت الى الائمة لإعطائها مقبولية لدى التابعين ولخلق اجواء العداوة مع الآخر واحتقار ما يذهب اليه او ان هؤلاء المعادين لمذهب اهل البيت ليسوا من شرفاء القوم انما هم لقطاع وابناء بغايا .

هذه الاحاديث وغيرها تؤصل لحالة من المعرفة اساسها ان الشيعة هم الناجون وانهم هم المؤمنون من دون غيرهم وان لهم مكانة عليا على غيرهم فضلهم بها ولائهم وطاعتهم الى الائمة. وان مصدر النور الذي خلقت منه الشيعة هو الائمة، مع ان مصدر النور واساسه هو الله وحده، لكونه منشأ النور وصانعه. لقد حاولت الروايات ان تنشأ تمثلات بين النور الالهي وبين النور الذي خلق منه النبي وآل بيته ، فقد خلق الشيعة من شعاع النور الذي خلق منه النبي واهل البيت . ان المتخيل يحاول ان يصور لنا بنية معرفية اساسها ان البشر كانوا قبل ان يخلقوا ترابا ليس فيه حياة فهم يعيشون ظلمة الارض التي ما ان غاب عنها النور حتى عادة الى ظلامها الدامس، وان اهل البيت لم يكونوا من صنف المخلوقات الارضية ، بوصفهم انوارا الهية كانت تدور في محيط المقدس قبل ان يخلق الله المخلوقات، فهم

اصل الحياة، فالنور هو اصلا الحياة ومبعثها واستمرار وجودها بل هي الوجود، والظلمة تمثل عالم العدم ونهاية الحياة ، وهي رمز الموت والعالم الارضي التحتاني .

في رواية طويلة جاءت في مروج الذهب عن علي بن ابي طالب تحكي عن بدء الخليقة: ان الله حينما اراد ان يخلق ويبتدع المخلوقات ، نصب الخلق في صور كالهباء ، ثم اخذ نورا من نوره ، ثم اجتمع النور في تلك الصور ، فكان فيها نور محمد ، فقال له : انت المختار المنتخب ، فأستودعه نوره وكنوز هدايته ، ثم انه خلق كل شيء من اجل محمد اذ اسطح الارض ورفع السماء ، ولأجله جعل الثواب والعقاب والجنة والنار ، ثم انه نصب اهل بيت محمد بالهداية ، واعطاهم مكنون العلم الخفي ، فصار لا يخفى عليهم من دقائق الامور ، وجعلهم حجة لمخلوقاته ، والمنبهين لوحدانيتها ، ثم انه اخذ على بني آدم الشهادة بالربوبية ، ثم انتخب محمد ، وأظهر لهم الهداية به ، والنور له ، والامامة في اهله ، ثم انه بدأ بخلق العوالم كلها ، ثم انه خلق الملائكة من انوار النبوة ، ثم انه اظهر نبوة محمد بالسماء قبل ان يشهرها في الارض ، ثم خلق آدم وبان فضله للملائكة ، لما حمله واستودعه من نور محمد واهل بيته ، ثم ان الله خبا نور محمد واهله تحت الزمان ، حتى اظهره من طاهر الارحام ، ليدعو الناس ظاهرا وباطنا ، ثم ان نور محمد انتقل الى الائمة من اهل البيت عبر فاطمة بنت النبي ، فصاروا الائمة انوار السماء والارض ، وفيهم النجاة ، وعندهم مكنون العلم ، واليهم تصير الامور ، ففيهم تختم الامامة ، ومنهم منقذ الامة ، واليهم غاية النور ، فهم افضل المخلوقات ، واكملها ، وهم حجج الله ، هنئت نعمة من تمسك بهم ، وقبض على ولايتهم (15) .

من الواضح جدا ، ان هذه الرؤية تشكل مبنى فلسفي غارق في العرفان، والذي يتشكل على اساس الالهام الكشفية ، ويستمد عناصر تجربته المعرفية بناء على الغيبي ، فهو لا يؤمن بأن العقل يمتلك القدرة على الوصول لمعرفة المطلق او الاتصال به ، لذا فالكشف والالهام والفيض هو وحده من يستطيع ذلك ، لان العقل يدرك من خلال الحواس ويبنى تجربته بناء على مدركاته الحسية ، وهذه النظرية الغنوصية التي تعتمد الباطن اساسا لها ، وان لكل ظاهر باطن ، ولكل نص تأويل ربما لا يشبه نصه ، وهذا يجعلنا نقرر ان العديد من الافكار الغنوصية التي كانت سائدة في الفكر الفارسي انتقلت الى الشيعة عبر محطات الاتصال الفكري ، وان اغلب المفكرين والعلماء الشيعة هم من الفرس لذا ادمجوا افكار المجوسية والمانوية(16) ، والتي ابتنت فكرتها على النور والظلمة ، فالنور يمثل عندهم الاصل الاول ، اما الظلمة فهي مصدر الشر ، وان هناك صراعا بين الخير والشر والنور/الظلمة ، ولا بد للنور من الفوز لتقوم القيامة . ولعلنا نجد هذه الفكرة الغنوصية لدى الشيعة واضحة فصراع النور المتمثل في أئمة اهل البيت مصدر الخير الذين خلقوا من النور الاول ، وبين الظلمة اعدائهم الذين يمثلون الشر على الارض ، وان معيار قياس الشر والخير هو الموالاة للائمة والطاعة لهم بصرف النظر عن عمل العامل .

النور الذي ترمز له الروايات والذي تجعل منشأه الاول الله، حيث تكرر في صورة محمد ليكون الاساس الاول للنشأة، وهذه الرمزية المتعالية للنور التي اشار اليها القرآن في سورة النور آية (35) (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۚ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۚ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَى نُورٍ ۚ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). فالله هو المتحكم في النور وهو مسبب ذلك النور ولولا نوره لانعدم الوجود، فوجود محمد هو النور الذي اجاد به الله على البشرية ليكون وجوده نعمة نورانية يهتدي بها الناس الى الطريق، وعدم الوجود هو العدم والظلمة الدائمة والتي تنطوي في حديث الصادق على خمسة اوجه (كفر، وتحير، وتعسر، وبدعة، ووقوع في ضلالة) (17). فالنور هو البياض والصفاء والنقاء والحقيقة والخير، يقابله الظلام والحيرة والشك وانعدام الحقيقة وانعدام الخير، اذ هو رمز السواد والليل.

فالرواية تحيل الى ان النور الاول الذي ظهر للوجود هو نور محمد الذي فاض على البشرية ليكون سببا لوجودهم وتكوينهم ومنشأهم، فلولا محمد واهل بيته لما كان للوجود سبب فلهم وحدهم خلق كل شيء ولولاهم ما خلق شيء. فقد تناثرت روايات عديدة حول سبب الخلق الاول كلها تزعم ان هذا حديثا قدسيا ففي البحار: (لولاك ما خلقت الافلاك) (18). وهناك احاديث اخرى تحمل المعنى ذاته فتارة تذكر (لولاك ما خلقت آدم) (19)، (ولولاك ما خلقت الجنة والنار) (20). وينقل العجلوني، رأي الصغاني بأن هذا الحديث موضوع، ولكن معناه صحيح وان لم يكن حديثا (21). اما الشاهرودي فيرى في مستدركه بأن الحديث لم يقف عند النبي وحده بأنه سبب الخلق وانما شاركه بذلك علي بن ابي طالب اذ لولا علي ما خلق محمد، ولو فاطمة ما خلق كلاهما (22).

حاولت المدونة الشيعية بما تمتعت به من مخيال واسع ان تؤلف احاديث تستند فيها على رمزيات واقعية كان لها اثر كبير على الذهن الاسلامي لما حصلت عليها من مساحة في النص الديني، كعيسى الذي عده الانجيل نور العالم، فقد جاء: (انا نور العالم من يتبعني لا يمشي في الظلام) (23).

وفي رواية ان محمد وعلي كانا نورا واحدا: وتزعم ان الله خلق محمد وعلي من نور واحد، وانهما كانا في صلب ادم، وكانا يسبحان الله تعالى، ثم انهما تنفلا بين اصلاب الرجال وارجاح النساء، وكانا يسمع لهما تسبيحا في الظهور والبطون في كل الزمنة والعصور، حتى صارا في صلب عبد المطلب، وان هذا النور كان يظهر في وجوه آبائهم وامهاتهم، حتى ان نورهم تبين ان اسمائهم كانت مخطوطة على جباه آبائهم وامهاتهم، ثم ان هذا النور افترق فصار نصفه في عبد الله، ونصفه الآخر في ابي طالب، وكان يسمع تسبيح هذا النور من ظهورهم، اذا جلسا الى ملا قریش، وكان نور محمد قد ظهر من صلب عبد الله، ونور علي ظهر من صلب ابي طالب وبطون أمهاتهم (24).

الرواية تحاول ان تتماهى مع رواية ذكرتها مصادر التاريخ الاول والتي بينت فيها ان نور محمد كان يظهر في وجه ابيه عبد الله وان امرأة تدعى قتيلة بنت نوفل اخت ورقة، رأت النور في وجه عبد الله والد النبي وطلبت منه ان يضاجعها لعلها تحصل على ذلك النور، الا ان وجود عبد المطلب والد عبد الله منعه من ذلك، ثم انه ضاجع زوجته امنة بنت وهب، فلما عاد الى قتيلة، لكي يلبي لها طلبها قالت له: لقد فارقك النور الذي كان بالأمس، أي ان عبد الله ضاجع زوجته وقد زال منه النور الى أمانة التي حملت بمحمد⁽²⁵⁾ .

هذا الخلق النوراني لمحمد وعلي اللذان هم من مصدر واحد، ظلا ينتقلان وكأنهما نور واحد في الاصلاب حتى حان وقت خروجهم الى الحياة ليفترقا في صلب رجلين من اولاد عبد المطلب، الا ان النور يستمر في شجرة علي وينقطع عن صلب النبي فتكون فاطمة حاضنة للنور ويكون علي مصدره. ففي رواية مرفوعة الى ابي ذر الغفاري عن النبي(ص) قال: ان اسرافيل افتخر يوما على جبرائيل ، فقال : انا خير منك ، فسأل جبرائيل كيف تكون خيرا مني ، فأخذ اسرافيل يبين له ميزاته ، مبينا انه ، احد الثمانية حملة العرش، وانه من ينفذ في الصور ، وانه اقرب الملائكة الى الله ، فأعترض جبرائيل قائلا : انا خير منك ، وأخذ جبرائيل يبين مميزاته كونه امين الله على الوحي لجميع الانبياء والمرسلين ، وأنه من يكلف بمهمة عقوبة الامم بالخسوف فاختصما عند الله ، فقال لهما اسكتا فهناك من هم خير منكما ، فقالا أ فتخلق خير منا ونحن خلقنا من نور، فكشف الله لهما الحجب ، فاذا مكتوب على ساق العرش لا إله إلا الله ، محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله ، بعد ان رأى جبرائيل ذلك طلب من الله ان يجعله خادما لهم ، فقال الله لجبرائيل انت خادمهم⁽²⁶⁾.

في هذه الرواية تأسيس واضح لهبوط المتعالي، فالملائكة اللذين هم في خدمة الله وتنفيذ اوامره يتحولون الى خدمة اهل البيت، وبطلب منهم بعد ان يتضح لهم مكانة اهل البيت وقربهم من الساحة الالهية . فهو حالة من المقارنة التي يصنعها المتخيل لخلق اجواء مسرحية بين الابطال النورانيين (الملائكة) وبين مخلوقات اخرى خير منهم، فبعد ان كان التفاضل بين الملائكة كونهم اعلى مرتبة من المخلوقات الاخرى اذ ان خلقهم كان من نور وهم امناء الله على وحيه، وعندهم تكليفات اخرى يقومون بها بأوامر الهية، يجدون انفسهم امام مخلوقات اخرى ترتقي سلم القرب من الساحة الالهية . هذه الروايات تتقاطع مع النص القرآني الذي يؤكد على ان الانبياء واهل البيت لا يختلفون عن غيرهم في اصل الخلق، انما هم بشر يشتركون مع غيرهم في المثلية (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ)(27). فالله يؤكد ان اصل الخلقة التراب الذي لا يشذ عنه احد فالجميع خلقوا من مصدرة الطين (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ)(28) وفي نص آخر(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ طِينٍ)(29). فلا يوجد لرواية الخلق من نور اساس في الكتاب، انما نجد ان النور يختص بالله وحده دون العباد (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)(30).

وفي رواية تحاول ان تجعل خلق النبي واهل البيت من نور ثم يصور هذا النور من طين، والرواية تحاول ان تجعل هذا التميز فقط للأنبياء واهل البيت وتلحق بهم الشيعة ، وتعدهم هم وحدهم الناس اما الآخرين فهم همج صائرون الى النار. ففي رواية تنقل عن الامام الصادق قال: خلقنا الله من نور عظمته ، ثم صور تلك الخلقة من طينة مخزونة ، ومكنونة تحت العرش ، فأسكن نورنا في تلك الطينة ، فصرنا بشر نورانيين من طين ، وافرد لنا هذه الخلقة من دون البشر الآخرين ، ثم ان الله خلق ارواح شيعتنا من طينتنا ، وخلق ابدانهم من تلك الطينة المكنونة تحت العرش ، ولم يجعل لغيرهم نصيب من ذلك ، الا للأنبياء ، لذلك صار اهل البيت وشيعتهم هم الناس وصار سائر الناس همج ، للنار وإلى النار (31) .

والغريب في الرواية ان الطينة التي خلق منها ذلك النور هي طينة مخزونة تحت العرش، وان ارواح الشيعة مخلوقة من تلك الطينة، ولم يشارك النبي واهل البيت الا الانبياء . وهذه الرواية تؤسس لأيديولوجية التمايز والتغاير فقد عدت النورانيين المخلوقين من تلك الطينة - المخزونة المكنونة - هم الناس، اما سائر الآخرين فهم خارج اطار الناس، فهم الهمج الذين يذهبون الى النار .

الولادات الاعجازية :

حاولت المصادر ان تصور ولادات النبي واهل البيت تصويرا اعجازية وان ولادتهم لم تكن ولادة طبيعية كما تحدث للبشر الآخرين، ولعل ذلك متأثرا من تصورات لدى المؤرخين والرواة بأن النبي واهل بيته افضل الانبياء، فكيف يمكن ان يكون للأنبياء معاجز ولادية ولا تكون للنبي واهل بيته، لذلك لعب المتخيّل دوره في صناعة روايات اعجازية متخيّلة لولادة النبي واهل البيت تتجاوز حدود التاريخ المعقول لتجعل الولادة النورانية قائمة يرافقها اعجاز واضح تارة في تغيير الانظمة الكونية وتارة اخرى يحدث في تغيير الطبيعة البشرية . وعلى الرغم من ان القرآن تحدث عن الاعجاز الولادي للأنبياء في قصص متعددة الا انه لم يشر الى ولادة النبي واهل بيته، ولم تسطر لنا كتب التاريخ الاولى تلك الحوادث، ونجد ان تصاعد وتيرة المعاجز تم في وقت متأخر نتيجة الصراعات السياسية بين المذاهب الاسلامية، فكل حزب اراد ان يرتفع برموزه الى مستوى القداسة والتبجيل فأضفى عليهم هالة من التجليات الالهية عبر أسطورة حياتهم من خلال المعجزات التي صنعها المتخيّل الذهني لتلك الفرق والاحزاب، فتناقلها العقل العربي وتراخى كثيرا في نقدها ورفضها، حتى انه قبلها قبولا حسنا وصارا يتمايز بها على غيره، ويعدها حقيقة واقعة، وصار العقل العربي بما تراكم عليه من تلك الاساطير والمعاجز المفتعلة عقلا متراخيا طيعا مرنا في قبول الخرافة والمعجز الموضوع، ولعل ما جاء في النص القرآني من تلك القصص مهد للعقل العربي ان يحيل ما لا يصدق من الروايات الى قياسا قرآنيا ويلجأ الى الحجاج بأن ما ورد في النص لا يقبل عقلا الا ان الذي دعا الى قبوله ان العقل لا يمكنه ان يحيط بمعرفة كل الاشياء لان عقل الانسان قاصرا عن الاحاطة بما هو خارج اطار الزمان والمكان . فيلزم والحالة هذه التسليم لما جاء في

الروايات من المعاجز فلربما وقعت فعلا ولم نستطع ادراكها، او انها غيّبت بسبب الفعل السياسي المعادي الذي يلجأ الى تغييب المغاير معه .

والحقيقة ان هذه الروايات المتخيّلة نجدها لدى كُتاب الفرق والمذاهب دون ان نجد لها اشارات في الكتب المغايرة، على عكس الروايات التاريخية التي نجدها لدى الفريقين وان كانت بتغير طفيف في احيان عدة . فكتب التاريخ تحرص على تدوين ما يقرب من القبول العقلي في اغلب الاحيان، اما كتب المتخيّل فأنها تلجأ الى تحويل ما هو تاريخي الى خرافي وتتلاعب بالروايات في تضخيم الاحداث والاضافات الخيالية متعكزة في ذلك على امكانية قبول تلك الروايات من العقل العربي الذي فتحت نوافذه لقبولها بعد الدك المتراكم لتلك الروايات على ذاكرته مما جعلها طبيعة ومحتشدة بالعدد الكبير منها.

ففي ولادة النبي (ص) نجد انه خلق من نور وان النور كان يتناقل من صلب الى آخر وانه كان يظهر في وجه ابيه، وان نور النبي ظهر في وجه ابيه عبد الله حتى رأت الكاهنة (قتيلة) وارادت ان تحظى بذلك النور من خلال الواقعة الجنسية، الا ان عبد الله لم يدرك غايتها فواقع زوجته امانة بنت وهب لينتقل النور اليها وتلد محمد بن عبد الله فيكون نبيا بعد ذلك . وتذكر الروايات أن فاطمة بنت أسد زوجة ابي طالب كانت حاضرة في الليلة التي ولدت فيها أمانة بنت وهب وقد رأت امرا غريبا، فلما كان الصبح انصرف أبو طالب من الطواف فاستقبلته، ثم قالت له: لقد رأيت الليلة عجا ، قال لها ما رأيت؟ قالت: ولدت أمانة بنت وهب مولودا أضاعت له الدنيا بين السماء والأرض نورا حتى مددت عيني ، فرأيت سعفات هجر⁽³²⁾ . فالرواية تصور النور الذي اودعه عبد الله امانة، وقد ولد نورا اضاء بين السماء والارض، حتى ان هذا النور كشف لفاطمة بنت اسد المسافات البعيدة لترى سعفات هجر⁽³³⁾ . ولعل الرواية اختارت السعفات لكون هجر مدينة زراعية يكثر فيها النخيل فأرادت ان تؤلف بين الخيال والحقيقة التاريخية.

وفي رواية اخرى عن المفضل بن عمر، ينقل عن الامام الصادق : لما ولد رسول الله فتح لآمنة بياض⁽³⁴⁾ فارس وقصور الشام⁽³⁵⁾. في الرواية اشارة واضحة الى ان الاسلام سوف يفتح بلاد فارس والشام وان الغاية التي جاء الاسلام من اجلها ان تصبح للعرب دولة واسعة تضم بين جنبيها دول وامم وديانات مختلفة ، هذا التصور الذي المحت اليه الرواية عبر مخيال روائي سردي ضم بين جنباته شيئا من التاريخ ليختلط ما هو تاريخي بما هو متخيّل ويصبح انصراف الذهن الى التاريخ فيمرر معه المخيال فيصبح له مقبولة لدى العقل، هي اشارة رمزية لقراءة مستقبلية رأتها ام النبي عند ولادته، والتي تنبأ عن تغيير قادم تكون بدايته تلك الولادة الميمونة، التي تجعل اعظم دولتين عرفتهما البشرية آنذاك يوشك سلطانهما ان يتهاوى على ايدي العرب بمجيء النبي المكي العربي، والحقيقة هي ان الرواية وضعت بعد ان سقطت الدولتين العظيمتين ليجعل الراوي معجزة الولادة متصلة، بمعجزة سقوط الروم والفرس .

اما ولادة علي بن ابي طالب فهي ايضا معجزة نورانية، فالرواية الشيعية التي حسمت امرها بأن جعلت الامام علي مخلوق من نور وهو ومحمد كانا نورا واحدا ينتقلان من صلب رجل الى آخر حتى انفلقا الى نورين بعد عبد المطلب ليكون نور محمد في عبد الله ونور علي في ابي طالب . ليودع ابي طالب نوره في فاطمة بنت اسد لتلد له عليا من

ذات النور الذي ولد منه محمد بن عبد الله . ولم تقف الرواية عند هذا الحد انما اتسع نطاق سرديتها الى ابعد من ذلك التصور ، فبعد ولادة محمد بن عبد الله، وما تباشرت به السماء والارض وما رؤي منه حين ولد وكيف اضاءت السموات والارض وكيف بان بياض الفرس وقصور الشام وقد نقلت فاطمة بنت اسد هذه المعجزة الى ابي طالب وهي متعجبة لهذا المولود المكي، ولم يتعجب ابي طالب ولم يبدي دهشته لما جرى بل اخذ يبشرها بولادة مولود اخر من صلبه له نفس المعجزة الولادية . فقد روى الشيعة ، ان فاطمة بنت اسد زوجة ابي طالب وام علي ، كانت حاضرة ليلة ولادة آمنة بنت وهب للنبي محمد ، وقد رأت ما كانت رأت آمنة من الاعجاز ، فلما انصرف ابو طالب صباحا من الطواف في الكعبة ، استقبلته ، واخذت تقص ما رأت من اعجاز الليلة البارحة ، من ان آمنة ولدت مولودا اضاءت له الدنيا نورا ، وانها مدت بصرها فرأت سعات هجر ، فلم يتعجب ابو طالب لذلك المشهد الاعجازي ، بل انه بشرها بمثله قائلاً لها : انتظري سبتا سوف تأتين بمثله ، فولدت بعد ثلاثين سنة علي بن ابي طالب ، وهكذا قالوا : ان السبت ثلاثين سنة (36) .

هذه الرواية حاولت ان تجعل صاحب النور ابو طالب لا يدهش مما اخبرته به زوجته بل انه بشرها بغيام له يولد بعد ثلاثون سنة من هذه الولادة، ولا ندري كيف انقسم النور من عبد المطلب بين اولاده ولم يلد ابو طالب ولده علي في الوقت الذي ولد فيه عبد الله محمد؟ ثم ان المتخيّل يصنع نبوءة لابي طالب تمتد الى ثلاثين سنة، فهل كان ابو طالب يعلم بنبوءة محمد وان ولده علي سوف يكون ظهيرا له وناصرا وليس نبيا .

وفي رواية تنتقل عن الامام الصادق : ان فاطمة بنت اسد بشرت ابي طالب بولادة محمد ، فقال لها : اصبري سبتا وسوف تلدين مثله الا النبوة (37) .

وفي هذه الرواية يمزج الراوي قضيتين في آن واحد الاولى: ان علي مثل محمد في المكانة والفضل الا انه ليس بنبي وهذا ما دأبت على اثباته الرواية الشيعية على طول خط التدوين، والثانية: ان ابا طالب كان يعلم بنبوءة محمد قبل ان يبعث نبي، فهو مسلم قبل البعثة ولا يصح ان يقوم الجدل حول اسلامه كما هو حاصل في المصادر الاسلامية(38).

وتحاول السردية الشيعية صياغة روايات تمزج فيها بين الخيال والواقع للخروج من جدلية الكفر والايمان للبعض من شخصياتها المتهممة بذلك ، ففي حوار دار بين جابر بن عبد الله وبين النبي حول اتهام الناس لابي طالب بالكفر وقولهم فيه انه مات كافرا ، ليجيب النبي ان الله اعلم بالغيب ، ثم يسرد على جابر ما رآه في الاسراء ، قائلا : (عندما أسرى بي الى السماء ، انتهيت الى العرش) ثم يذكر انه رأى اربعة انوار حول العرش ، فسأل محمد ربه عن تلك الانوار ، فأجابه الله عنهم ، انهم عبد المطلب جده، وابو طالب عمه، وعبد الله والده ، وطالب ابن عمه وقد ، ثم سأل النبي ربه ، كيف نالوا هذه الدرجة من القرب ، فقال الله ، بكتمانهم الايمان ، واطهارهم الكفر وقد صبروا على ذلك حتى ماتوا (39).

هي محاولة للخروج من التاريخ الى المتخيل والعموم في الغيبي الذي لا يمكن اثباته تاريخيا فالأسراء لم يكن الى السماء انما حدد جغرافية الاسراء النص القرآني بأنه من البيت الحرام الى المسجد الأقصى واكتفى بذلك حدودا، ولكن الروائي الشيعي يحاول ان يثبت فكرته الى الذهن دون ان يسيطر كليا على العناصر التاريخية انما غايته المرور من خلالها الى الذهن الذي لا يمتلك قدرة الاحاطة بالجزئيات وتفاصيلها. فلم يعتني بالتفريق بين الاسراء من جهة والمعراج السماوي من جهة اخرى، ثم مرر اسلام ابي طالب والآخرين معه وانهم كتموا اسلامهم وصبروا على ذلك . مع ان السائل سأل النبي سؤالا واضحا فلماذا التف النبي على السؤال دون ان يجيب ثم انه يحيل الامر الى رؤيته انوارا اربعة مشعة في السماء، ليؤكد انهم كانوا مؤمنين ولم يعلنوا اسلامهم. فهل يعقل ان يكون الاربعة انوارا في السماء مع انهم لم يقدموا للإسلام سوى انهم امنوا بقلوبهم، ويحرم المهاجرين وممن تحملوا العذاب والقهر من مشركي قريش، ولعل الامر واضحا ان الشيعة عملوا على اسلمت كل ما كان يحيط بساحة النبي وعلي .

فأبو طالب كان يرى حتى في منامة ان نورا ينزل عليه وان هذا النور هو الولادة التي سوف تتحقق بعد حين ففي الرواية الشيعية (ان ابا طالب كان راقدا في الجحفة⁽⁴⁰⁾) فرأى في منامة كأن بابا انفتح من السماء فنزل منه نورا فشمله، فأنتبه وأتى راهب الجحفة فقص عليه، فأنشأ الراهب يقول :

أبشر ابا طالب عن قليل بالولد الحلال النبيل

يال قريش فأسمعوا تأويلي هذان نوران على السبيل

كمثل موسى واخيه السؤل⁽⁴¹⁾ .

على الرغم من ان الرواية تتحدث عن زمن ما قبل البعثة النبوية وقبل ولادة علي الا انها تشير الى الحديث المعروف عند الشيعة بحديث المنزلة⁽⁴²⁾ فكيف يمكن لراهب الجحفة قبل الاسلام ان يتكهن بمجيء محمد وعلي وان الذي سوف يحصل بينهم هو ذات الشيء الذي حصل بين موسى وهارون ولكن لا نبي بعد محمد . الرواية بما تحمله من ايدولوجية فكرية اريد لها ان تمر للذهن دون تعرجات وبسهولة مطلقة صيغت بصياغة سردية، ابتدأت بالمنام مستدعية رمزيات تاريخية حية واقعية / ابو طالب . الرؤية في المنام - الجحفة - الراهب / وكل هذه العناصر تاريخية تعاملت معها الرواية بحركة الزمان والمكان وقد وظفت لصالح المتخيل الروائي لتحتال على الذهن المتلقي لها فتستوطن العقل الشيعي مرتكزة على عناصرها التاريخية التي مررت من خلالها لتؤصل حديث المنزلة الاسلامي بفعل سبق الاسلام تأسيسا. فعلي الذي لا يمكن ان يكون نبي لخاتمية الديانات بمحمد يمكن ان يكون خليفة ووزير، فحديث الدار⁽⁴³⁾ الذي استدلت به الشيعة على احقية علي بالخلافة مع غيره من الاحاديث نجد له صدى تأسيسي في المتخيل الروائي يمتد الى ما قبل ظهور الاسلام، ليكون ابو طالب المبشر به والمؤسس له فقد ذكر الكليني رواية عن الامام الصادق عندما جاءت فاطمة بنت اسد تبشره بمولد محمد وتروي له معجزة ميلاده قال لها : (وتتعجبين من هذا إنك تحبلين وتلدن بوصيه ووزيره)⁽⁴⁴⁾.

ثم تنتقل الرواية الشيعية لتتحدث عن هبوط جبرائيل على النبي قبل مبعثه ليبشره بمولد علي بن ابي طالب ويؤكد حضوره اثناء الولادة ويبشره بمبعثه فقد روي ان رسول الله قال: ان جبرائيل نزل عليه يبشره بولادة علي بن ابي طالب ، وقد قال له : يا حبيب الله ، ان الله يهنئك بولادة اخيك علي ، وان هذا زمان ظهور نبوتك ، وبيان وحي الله ، وكشف رسالتك ، فقد تم تأييدك بأخيك ووزيرك وصنوك وخليفتك ، ثم ان الرواية ، تسجل فعل النبي في استقبال المولود الوزير والخليفة ، حيث يذهب النبي صوب فاطمة بنت اسد فيجدها في المخاض وعندها القابلات وجبرائيل حاضرا ، ويُعلم النبي كيف يستقبل اخيه علي عندما يسقط من رحم فاطمة بنت اسد ، وكيف يؤذن في أذنه اليمنى ويقيم بالحنفية ، ويشهد امامه بالوحدانية وبرسالة محمد (45). يبدو ان المتخيل الروائي الشيعي فاته ان الروايات الشيعية تؤكد مولد الامام علي في البيت الحرام دون حضور القابلات، فقد انشق جدار البيت ودخلت فاطمة بنت اسد وغابت عن الانظار اذ عاد الجدار على حالة حتى خرجت عليهم بمولودها علي . عن أبي حمزة الثمالي، ينقل عن علي بن الحسين : إن فاطمة بنت أسد عندما ضربها الطلق ، كانت في الطواف فدخلت الكعبة فولدت علي فيها، قال عمر بن عثمان: حدثت بهذا سلمة بن الفضل فقال: ان محمد بن إسحاق ذكر ان علي ولد في الكعبة (46).

فالشيعية يذهبون الى ان الامام علي ولد في جوف الكعبة بعد ان اغلق عليهم الباب اربعة ايام متتالية فقد جاء في الرواية عن يزيد بن قعنب قال: كنت جالسا ومعني العباس بن عبد المطلب وجماعة من بني عبد العزى ، فجاءت فاطمة بنت اسد ام علي ، وقد اخذها الطلق ، فدعت الله ان يبسر عليها ولادتها ، قال يزيد ، فرأينا البيت انشق عن ظهره ، ودخلت فاطمة بنت اسد حتى غابت عن الابصار ، ثم ان الحائط عاد والترق ، فحاولنا فتح الباب فلم يفتح ، وقد غابت اربعة ايام ، حتى خرجت في اليوم الرابع ومعها طفلها علي ، ثم ان الرواية ذكرت ان فاطمة اخذت تتفاضل على غيرها من النساء كأسيا بنت مزاحم ومريم بنت عمران، ثم ذكرت انها لما دخلت البيت الحرام أكلت من ثمار الجنة وأوراقها، وانها عندما ارادت الخروج هتف بها هاتفا ، يا فاطمه سميه عليا ، لأنني شققت اسمه من اسمي ، وقد أدبته بأدبي ، وانه يحمل غوامض علمي ، وهو الذي يكسر الاصنام ويؤذن على ظهر البيت ، فطوبى لمن احبه واطاعه ، وويل لمن أبغضه وعصاه (47) .

هذه الرواية اختلط فيها التاريخ بالمخيل فما ورد من اسماء فهي من التاريخ اما الاحداث الواردة تنم عن ان الرواية صيغت في زمن متأخر جدا، فأين لفاطمة بنت اسد ان تعلم قصص النساء الاتي تفاضلت عليهن / اسية بنت مزاحم - مريم/ ثم كيف تتأدى من السماء في تسمية ابنها ومكة لم تشهد بعد خروج نبي، كما ان الرواية تبين مواقف علي بن ابي طالب عندما كسر الاصنام ، فهي رواية اسلامية وضعت فيما بعد ولم تكن من روايات العرب قبل الاسلام، فكيف لفاطمة بنت اسد ان تتحدث في حوادث لم يكن العرب بعد يدركون ظهور نبي مرسل لهم من السماء يكسر اصنامهم، وهل يعقل ان تقول ذلك في محضر قريش وتهين الهتهم ؟ .

حاولت الروايات الشيعية ان تنمأى كثيرا في ولادات الائمة مع ولادة الانبياء المعجزة، لذلك نجد الكثير من المتخيل الروائي في كتب الشيعة يحاول ان يجعل من الامام ولد وهو يتحدث بحديث الكبار، كما كان ذلك لعيسى بن مريم الذي ولد وهو يتحدث مع قومه، فلما ولد علي في الرواية الشيعية استقبله رسول الله فتحدث علي فقال: أقرأ يا رسول

الله ، فقال له محمد اقرا ، فقد قرأ صحف آدم ، التي قام بها شيث ، حتى تلاها كلها ، فلو كان شيث حاضرا لاعترف له بأنه احفظ منه ، ثم جاء على توراة موسى وقرأها كلها ، ثم قرأ انجيل عيسى كله من اوله الى اخره ولو حضرا موسى وعيسى لقالا انه احفظ منهما لكتابيهما ، ثم قرأ القرآن كله وكأنه يحفظه كما احفظه الساعة وكما نزل علي ، ثم خاطبته وخاطبني كما يخاطب الانبياء والاوصياء ، ثم انه عاد طفلا كما كان . ثم ان النبي قال ، أني افضل الانبياء وان علي وصيي افضل الاوصياء ، وان آدم رأى اسمي واسم اخي علي ، واسم ابنتي فاطمة وولداها الحسن والحسين ، واسماء أولادهم مكتوب على ساق العرش بالنور ، ثم ان الله قال لآدم ، لولا هذه الاسماء ما خلقت سماء مبنية ، ولا أرض مدحية ، ولا خلقت ملكا ، ولا نبيا مرسلا ، ولولاهم ما خلقتك يا آدم ، فلما ارتكب آدم ذنبه تاب بأسمائهم اذ سال الله بحقهم ان يقبل توبته ، فغفر الله ذنبه وتاب عليه ، ثم ان الرواية تذكر ، ان الاسماء التي علمها الله لآدم هي اسمائهم ، ولذا افتخر آدم على الملائكة بتلك الاسماء لأنها من ذريته ، ثم ان سلمان قام من عند النبي وهو يقول : نحن الفائزون : فقال لهم النبي انتم الفائزون ، ولكم الجنة خلقت ، وخلقت النار لأعدائنا وأعدائكم (48) .

الرواية تشتغل في حدود اثبات افضلية علي على الانبياء والاوصياء وان الدنيا انما خلقت من اجل محمد واهل بيته ولولاهم ما كان للوجود ضرورة حتى الملائكة خلقوا لذلك، وان الامام علي خرج الى الدنيا ناطقا بالكتب السماوية من شيث بن ادم الى عيسى فقد قرأ صحف شيث حتى انه كان يحفظها اكثر من شيث نفسه، وقرأ القرآن قبل ان ينزل على محمد فهو اعرف به منه، ثم تختم الرواية بثنائية الجنة والنار فتكون الجنة من حصة اهل البيت واتباعهم وان النار لأعدائهم .

وفي رواية ان جابر بن عبد الله الانصاري يسأل النبي عن مولد الامام علي فيجيبه النبي بحسب الرواية الشيعية قائلا : لقد سألتني عن خير ما ولد بعدي على سنة المسيح ، وان الله خلقتني وعلياً من نور واحد ، وكان ذلك قبل ان يخلق الله الخلق بخمسمائة الف عام ، وكنا نسبح الله ونقدس ، ثم ان الله خلق آدم وقذف نورنا في صلبه ، فاستقررت انا في جنبه الايمن ، وعلي في جنبه الايسر ، ثم انتقلنا من صلب ادم الى اصلاص مطهرة ، وارحام طيبة ، ثم استقرت بي في صلب عبد الله الذي استودعني رحم آمنة بنت وهب ، واستودع علي في صلب ابي طالب ، واستودعه رحم فاطمة بنت اسد (49) . فالنور الذي خلقا منه انشطر فيما بعد بين ابويهما بعد ان كان واحدا ينتقل في الاصلاص حتى تحول فيما بعد الى رحمين طاهرين ليولد منهما محمد وعلي . ثم ان الرواية تتحدث على لسان رسول الله اجابة لسؤال جابر ابن عبد الله، والحقيقة ان الرواية فيها اسهاب وتحمل دلالات مسبقة تحاول ان تمررها من خلال السرد القصصي الذي تشتغل عليه الرواية فقد انتقل الراوي من حديث النور فيها الى البشارة بعلي وتتم من خلال تقنية المحاكاة لإنتاج معجزة الولادة الاسطورية فالبشارة بولادة علي هي محاكاة لبشارة زوجة ابراهيم بمولودها اسحاق، الا ان الفارق هنا ان سارة زوجة ابراهيم كانت عاقرة وهي امرأة، وان المبشر في هذه الرواية ابو طالب وهو ذكر، فالرواية تحاول ان تؤكد امرين ان ابو طالب كان مسلما قبل الاسلام هذه الدلالة الاولى للقصة، وان علي هو بمنزلة الانبياء المبشر بهم هذا ثانيا، فقد جاء في الخبر المنقول عن النبي انتاجا، ان ابا طالب التقى براهب يدعى (المثرم) وكان عابدا اكثر من مئة وتسعون سنة ولم يطلب لنفسه شيئا، حتى طلب من الله ان يريه ولي الله ، فبعث الله له ابي طالب فلما رآه قبله وبكى وبشره بوليا يخرج من صلبه وناولوه طعام من الجنة اكله ابو طالب وعاد ليقع على زوجته فحملت

بعلي. هنا يظهر العنصر الاسطوري في أكل ابي طالب من فاكهة الجنة، التي تحولت بالاختلاط مع النور الذي في صلبه الى (مَنّي) ليأتي به ابي طالب ويواقع زوجته فتحمل بعلي من خليط النور وفاكهة الجنة . وتستمر الرواية في سرد احداثها اذ بمجرد ان يحدث الحمل تحدث المعجزة اذ ارتجت الارض وزلزلت ولاقت قريش رعبا وفزعا وتكدكت بهم صخور ابي قبيس وتناثرت حجارته وانكبت الاصنام على وجوها، فسألوا ابا طالب عن الخبر فقال خلق الله، ان لم تطيعوه ولم تقروا بولايته وتشهدوا بإمامته لم يسكن ما بكم، فقالوا نقول بمقاتلك، فبكى ابو طالب . المتخيّل هنا يحاول ان ينشئ نماذج اسطورية لأبطاله بناءً على رؤية ثقافية عقيدية، وذلك من خلال تحويل الشخصيات التاريخية الى ابطال اسطوريين وترسيخ ذلك في الذاكرة الجمعية. فالرواية في كل سرديتها تحمل دلالات متعددة تنتقل فيها عبر استدعاء التاريخ بحوادثه وعناصره لتمرر من خلاله تلك الدلالات. فالرواية تحكي عن عصر ما قبل الاسلام، ولكننا نجد الاسلام حاضرا في تفصيلاتها، اذ يحاول الراوي ان ينقلنا الى ان ولادة الامام علي كانت ولادة اسلامية اعجازية بكل تفاصيلها، وان الاعجاز ابتدأ فيها منذ اللحظة التي تكون فيها الحمل، وان البيعة تمت لعلي في الخلافة والولاية من قبل القريشيين قبل ان يعرفوا بالاسلام، والغريب انهم لم يسألوا ابا طالب الذي وعدهم بالعذاب ان لم يبايعوا لهذا الجنين المتكون للتو، عن أي بيعة يبايعون واي وصاية وامامة يعقدون . ان الاشتغال في مجال المتخيّل ومحاولة تفكيك بنية المعجزة المتخيّلة، يقابلنا أمرين: اولهما: ان التاريخ يظل حدثا وقع في الماضي لا يمكن استرداده من جديد. وثانيهما: ان ما وصلنا من التاريخ هو اخبار منقولة على ضوء فهم اصحابها وتوجهاتهم ، فصورة التاريخ التي وصلتنا مشحونة بالأفكار والانتماءات والتوجهات، فهي لا تنقل الحقيقة من اجل الحقيقة، انما تنقل ما تسعى الى اثباته من دلالات عقدية ترسخها في ذاكرة اتباعها، او على اقل تقدير تشوش الحقيقة من خلال تزييفها بإدخال ما ليس منها فيها . ثم ان الرواية تجعل ولادة علي ولادة اعجازية فلما كانت الليلة التي ولد فيها علي اشرقت السماء بضياءها وتضاعف نور نجومها، وابصرت قريش من ذلك عجبا، فتساءلوا فليل لهم ولد وليا من اولياء الله، والرواية طويلة بتفاصيلها، واحداثها، فقد حضرت الولادة اربعة نسوة لكي لا يتنجس الولود فقد حضرت اثناء الولادة حواء ومريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وام موسى بنت عمران، واشرفن على ولادته، ولما خرج علي سلم عليهن وحدثن بحديث الكبار، ثم ذهب ابو طالب الى كهف بعيد وقد غاب اربعين يوما يبحث عن الراهب (المثرم) وقد وجده ميتا تحرسه حيتان فلما رأى ابو طالب اختبأ عنه فجاء وسلم على المثرم فجلس الراهب من موته وتحدث مع ابي طالب وبشره بولادة علي ثم عاد ليموت⁽⁵⁰⁾. هذه الرواية الاسطورية التي هي عبارة عن قصص الف ليلة وليلة التي صنعتها المخيلة الشيعية لتدفع بها اثباتا لولاية الامام علي على المسلمين، فكل التفاصيل تتحدث عن الولادة الاعجازية التي تمت قبل البعثة النبوية، وان علي ولد يتحدث ويبشر بالاسلام وقد حضرته اربعة رموز نسائية مهمة، وان البشارة بعلي جاءت من راهب وضع له اسم غريب، وان ابو طالب اجبر قريش على الاعتراف بإمامة علي قبل ظهور الاسلام والا سوف يلاقون الموت جراء ما حدث لهم من زلازل وهيجان ارضي ودك للصخور وتبعثر للحجارة، ثم ان ولادة علي تختلف عن ساعة الحمل به، اذ اشرقت السماء بالضياء وتضاعف نور النجوم، لان النور الذي خلق منه علي خرج الى الدنيا ليضيء السماء والارض. هذه الحكاية الاسطورية التي لا يمكن للعقل تصديقها، ليست حقيقة تاريخية، على الرغم من ان عناصرها تتداخل عمقا في التاريخ الا ان الخيال لعب دوره في صياغة احداثها ليمرر عقيدة التشيع في رؤيتها للأئمة على انهم كائنات نورانية وليسوا بشرا كباقي البشر. ان في بنية الخبر ما يكشف عن صناعته، فالأخبار

المتخيّلة تترك خلفها أثارا يمكن ان نكتشف من خلالها الشرح الواضح في بنية السرد، وتناقضا يفضح الصناعة السردية للخبر، فعنصر الريبة قائم في الموضوعات والتضخيم الاسطوري في الروايات يمكن للمتمعن ان يكتشفه دون عسر.

ان الراوي المتخيّل ينطلق دائما من دلالات عقديّة، يريد تقريبها الى المتلقي، فيصنع لها احداثا من عناصر تاريخية، ويركز اهتمامه بتلك الدلالات، فلا يهتم بالثغرات التي ممكن ان تظهر في النص بقدر اهتمامه بإيصال تلك الدلالات، لذا تظهر التناقضات والاختلافات والمغالطات التاريخية . فالإمامة عند الشيعة تُعد مرتكزا مهما في مذهب التشيع حتى ان المذهب يقوم عليها، لذا لا بد للإمام ان يكون فوق مستوى البشر واقل من مستوى الاله، فولادته ونشأته وحياته لها خصوصية ليس للبشر الآخرين مثلها، فأن كانت طبيعية سعى المتخيّل الى اسطورتها وتضخيمها. (عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : للإمام عشر علامات : يولد مطهرا، مختونا، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعا صوته بالشهادتين، ولا يجنب، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يتثاغب ولا يتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، ونجوه كرائحة المسك والأرض موكلة بستره وابتلاعه، وإذا لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت عليه وفقا وإذا لبسها غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبرا ، وهو محدث إلى أن تتقضي أيامه⁽⁵¹⁾ . وفي رواية الكافي: ينهي عن التكلم بالإمام ، لان الإمام يسمع وهو في بطن امه ، فاذا وضعته امه كتب ملك ما بين عينيه " وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم " فاذا قام بالأمر رفع الله له بكل بلد عمود نور ينظر من خلاله لأعمال العباد⁽⁵²⁾).

يحاول الراوي ان يرتب حياة الامام منذ اول الحمل حتى يصبح امام وفي كل مرحلة من مراحل حياته مختلف عن البشر العاديين، فهو يمتلك خاصية التحدث والسمع في بطن امه، كما سوف نلاحظ في حمل خديجة بفاطمة التي كانت تحدثها وهي في بطنها، ثم ان كلمة الرب تتم بمجرد ان يأتي المولود/الامام/ الى الحياة، فاذا قام بالأمر /صار امام/ يقام له عمود من نور في كل بلدة يراقب منه العباد، وهذا في الحقيقة لا يتفق مع ما جاء في النص القرآني. (وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ)⁽⁵³⁾ وقد اجمعت كتب التفسير على انه المقصود بالكرام الكاتبين هم الملائكة⁽⁵⁴⁾. فهم وحدهم انيط بهم مسؤولية احصاء اعمال الانسان، وليس مسؤولية البشر، عن محمد بن مروان قال: سمعت الامام الصادق يقول: إن الامام يسمع في بطن أمه فإذا قام بالأمر جعل الله له منارا من نور، ينظر به ما يعمل أهل كل بلدة⁽⁵⁵⁾.

وفي رواية اخرى تصور الحمل بالإمام والولادة الاعجازية والتي يصحبها نور تشاهده والدته المعصوم وكأن النور يتكرر في الولادة لان الرواية تحاول ان تمزج بين خلق الامام من نور وبين رؤية امه لذلك النور الذي سوف يولد: فقد ذكرت الرواية ان الوصي اذا حملت به امه اصابته شبه العشية فان كان نهارا اقامت على ذلك يومه كله ، وان كان ليلا اقامت ليلتها كلها ، ثم انها ترى رجلا في منامها يبشرها بذلك الغلام ، وبعد تنتبه من نومها ، تسمع من جانب البيت الايمن صوتا يهتف لها ، انك حملت بخير وتصيرين الى خير ، ويبشرها بغلام حليم عليم ، ثم من علامات حملها انها تجد خفت في بدنها ، فاذا جاء وقت وضع الحمل بالوصي ، فأنها ترى نورا لا يراها غيرها الا ابوه ، فاذا ولدته كان قاعدا ، متربعا ، يستدير حيث القبلة ، ثم انه يعطس ثلاثا ، ويولد ضاحكا ، وتخرج من بين يديه مثل

سبيكة الذهب نورا ، ويقوم الليلة التي ولد فيها ونهارها ويدها تسيلان ذهباً ، وكذلك الانبياء اذا ولدوا ، فالأوصياء هم اعلق الانبياء ⁽⁵⁶⁾. هذا الوصف المتخيَّل لا يمكن ان يكون وصفا واقعيا، فهل يعقل ان يكون حمل الامام يختلف عن الناس الطبيعيين، وولادته امرا اعجازيا، ثم نرى ان النور يتكرر في ولادة الامام. ثمة امر آخر ان القرآن لم يتحدث عن الامر الاعجازي في ولادة النبي، حتى انه لم يكن في حسابان قريش انه سوف يكون له شأنهما، فما قيل من اعجاز في ولادته ما هو الا تصورات متخيَّلة صنعتها عقول الكتّاب المسلمين غايتها الاولى رفع مقام النبوة الاسلامية على نبوة غير المسلمين معتقدين ان النبي لا يكون نبي دون ان ترافقه جملة من المعجزات، وأمر آخر تسخيف العقل الاسلامي، وتحويله الى عقل مسطح يقبل تلك الخرافات والاساطير بسهولة، ومن ثمة يتحول الى عقل مستعبد لتلك الآراء تحركه ايدولوجيات سياسية ودينية وطائفية يخضع لها خضوعا مستسلما لا يناقش ولا يرد بل يكتفي دائما بالتصديق، لان ما حُزِّن فيه من الخرافات والاساطير تجعله يصدق ما يقال له، فشحن المؤلفات بهذه التصورات والمتخيَّلات غايتها تطويع العقل الى قبول ما يراد منه تصديقه فيما بعد .

اما الحمل بفاطمة فهو كذلك حملا اعجازيا فقد جاء في الروايات الشيعية انها خلقت قبل ان يخلق الله السماء والارض، خلقها الله من نوره قبل ان يخلق آدم، فلما خلق الله آدم عرضت عليه فاطمة، وكانت في حقة تحت ساق العرش، وكان طعامها التسبيح والتفديس والتهليل والتحميد، فلما اراد الله ان يخلق فاطمة جعلها تقاحة في الجنة، ثم ان جبرائيل أتى بها محمد فأكلها بعد ان فلقتها ورى فيها نورا ساطعا ففرغ الا ان جبرائيل هدأ من روعه وقال له: لا تخف ان ذلك النور للمنصورة في السماء ولفاطمة في الارض، ثم يدور حوار بين جبرائيل ومحمد حول تسميتها المنصورة في السماء وفاطمة في الارض، فيجيب جبرائيل عن ذلك التساؤل: سميت في الأرض فاطمة لأنها فطمت شيعتها من النار وفطم أعداؤها عن حبها، وهي في السماء المنصورة وذلك قول الله عز وجل (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء) يعني نصر فاطمة لمحبيها ⁽⁵⁷⁾. رمزية النور تأخذ ابعادها في روايات الخلق والولادة عند الشيعة، كما ان السابقة في وجود هذا النور قبل الخلق هي محاولة للصعود في مدارج التأليه لتلك الشخصيات والغلو الفاحش فيها، ومحاولة تضخيم الحدث الولادي لأئمة اهل البيت، وجعلهم خارج دائرة البشري، بل هم غائية الخلق وعلته . فمع ان فاطمة خلقت من نور الله الا ان النور لا يمكن ان يتحول الى مادة ملموسة لذلك تم التحول في الجنة الى تقاحة ليتناولها النبي فتتحول التقاحة الى ماء في صلب النبي وتكون فاطمة النورانية .

وفي رواية يسوقها المتخيَّل على لسان عائشة ليعطيها بعدا تاريخيا، تقول فيها نقلا عن النبي : ان النبي لما اسري به الى السماء ، دخل الجنة ، فأخذ جبرائيل بيده الى شجرة طوبى ، وناوله من ثمارها فأكل النبي منه ، وتحولت هذه الثمار الى ماء في صلبه ، فلما نزل الى الارض واقع خديجة ، فحملت منه بفاطمة ، فكان اذا قبلها شم فيها رائحة شجرة طوبى (58) . في هذه الرواية يغيب النور لتظهر اصل خلق فاطمة هو ثمرة من ثمار شجرة طوبى، والتي لم تحدد الرواية نوع تلك الثمرة فقد تركتها دون اعطاؤها صفة واضحة، ففي الرواية السابقة انها كانت نور وتحولت الى تقاحة في الجنة اتى بها جبرائيل، اما الان فأن الرواية تحدد ان زمن ولادة فاطمة يرافق الاسراء كون النبي أكل من شجرة طوبى فصار ماء في صلبه ثم انه واقع خديجة فحملت بفاطمة. ولا نعلم تحديدا ما هي شجرة طوبى، فالروايات

الشيعة لها تصوراتها حول هذه الشجرة، فنجدها في روايات ان الله امر رضوان خازن الجنان ان يهبها، فحملت رقاقا يعني صكاكا(59)، بعدد محبي اهل البيت، وأنشأ الله ملائكة من نور ورفع الى كل ملك صكا، فاذا استوت القيامة بأهلها نادى الملائكة في الخلائق فلا يبقى محب لأهل البيت الا دفعت إليه صكا في فكاكه من النار(60). ونجد ايضا ان ثمار شجرة طوبى من اللؤلؤ والزمرّد، فقد صورت الروايات ان هذه الشجرة لما امرها الله ان تحتفل بزواج علي من فاطمة امرها ان تنثر ما عليها فنثرت ما فيها من الدر الابيض والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر واللؤلؤ الرطب ، فبادرن الحور العين يلتقطن ويهدين بعضهن إلى بعض(61). وفي روايات اخرى تتحول شجرة طوبى الى سدرّة المنتهى وهي التي تقوم بالنثر احتفاءً بهذه المناسبة(62). فكيف يكون لهذه الشجرة /السدرّة/ ثمار من الذي يؤكل وثمار اخرى من التي يتزين بها ، الا اذا كانت الروايات تتلاعب بعقول الناس وتحاول تسطيحها .

ولا تتفق الروايات الشيعة على رواية اعجازية واحدة او تصور متخيّل واحد انما نجد تعدد في الروايات فهي مخلوقة تارة من نور واخرى من تفاحة وتارة من ثمرة شجرة طوبى واخرى من رطب، فقد جاء في رواية ان النبي لما عرج به الى السماء رأى رطبا ألين من الزبد وأطيب رائحة من المسك وأحلى من العسل، فأخذ منه رطبة فأكلها فتحولت نطفة في صلبه، فلما هبط الى الارض واقع خديجة فحملت بفاطمة، فصار النبي اذا اشتاق الى الجنة شم فاطمة(63) .

هذا الحمل النوراني الذي حملت به خديجة من الجنة، كان حملا اعجازيا، فكانت فاطمة، تحدث امها وتصبرها، ففي الرواية ، ان النبي دخل يوما على خديجة فوجدها تحدث جنينها ، فقال من تحدثين ؟ قالت احدث الذي في بطني ، فقال لها : ان جبرائيل بشرني انه بنت وسوف تكون النسلة الطاهرة ، ويكون نسلي منها وانها تلد الاثمة ، الذين سوف يكونون خلفاء على الارض ، بعد انقضاء الوحي ، ولازمت خديجة الحديث مع جنينها حتى وضعتها (64). اللافت ان الرواية ارادت ان تمرر امرين مهمين في عقائد الشيعة هما اولاً: تضخيم الحدث الروائي والصعود به الى التأليه سيما ما يخص الاثمة من اهل البيت، وثانياً: الاشارة الى الامامة العمود الفقري في العقيدة الشيعية والتي ارادت الرواية ان تسند البشارة فيها الى الله عبر جبرائيل لتؤكد الامامة النصية الالهية .

اما ولادة فاطمة في التصورات الشيعة فهي كذلك ولادة اعجازية اريد لها ان تكون ذات ابعاد الهية يتدخل فيها المقدس من خلال حركة التاريخ والعودة به الى الوراء لجلب الشخصيات التاريخية واحياؤها بموقف مقدس يجعل الصورة المخيَّلة حدثاً تاريخياً وهمياً . فلما حضرت خديجة الولادة بفاطمة وجهت الى نساء قريش وبني هاشم ان تعالين لتلين مني ما تلي النساء من النساء ، فرفضن ان يلين دعوة خديجة ، وقد ارسلن اليها انك عصيتنا وقد تزوجتي يتيم ابي طالب ، ولم تستمعي لنصحننا ، فأنا لا نلي من أمرك ، فاغتتمت خديجة لهذا الموقف ، وبينما هي في وضعها هذا اذ دخل عليها اربعة نسوة ، كأنهن من نساء بني هاشم ، سمر طوال ، فأفزعنها لما رأتهن ، فقالت احداهن ، لا تفرعي ، لقد ارسلنا الله اليك ، ونحن اخواتك ، وكنا سارة ، واسيا بنت مزاحم ، ومريم بنت عمران ، وكلثم اخت موسى ، فلما وضعت فاطمة طاهرة مطهرة ، اشرققت من نورها الارض ، حتى علا نورها بيوتات مكة ، ثم ان عشر حوريات من الجنة جنن اليها وكل واحدة تحمل معها طشت وابريق ، في كل ابريق ماء من الكوثر ، فأخذت احدى النساء

الاربعة الماء وغسلت فيها المولودة ، واخرجت خرقتين اشد بياضا من اللبن ، واعطر من المسك ، فلفتها بواحدة وجعلت الاخرى قناعا لها ، ثم ان فاطمة نطقت بالشهادتين ، وقالت ان ابي محمد رسول الله ، وانه بعلي سيد الاوصياء ، وان ولدي سادة الاسباط ، ثم ألقت السلام على من حضر الولادة ، وسمت كل منهن باسمها ، وتباشرت الحوريات كما تباشر اهل السماء بتلك الولادة ، فأخذتها خديجة والقمتها ثديها مستبشرة بتلك الطاهرة المولودة ، وكانت فاطمة تكبر في اليوم كما يكبر الصبي في الشهر ، وتكبر بالشهر كما يكبر الصبي في السنة (65) .

على الرغم من محاولة الراوي اخفاء الفكرة التي يسعى الى تركيزها في ذهنية المتلقي، الا انها تبدو واضحة من السرد الاسطوري الذي عملت الرواية على تصويره على انه واقعا تاريخيا ، الا انه في الحقيقة مخيالا روائيا حُشد برموز تاريخية ، لها ابعادها القدسية ، فحضور النسوة المبعوثات بأمر الهي يدعو الى اصباح الحدث بصبغة المقدس، وان هذه الولادة لم تكن ولادة طبيعية انما هي ولادة اعجازية تمت تحت رعاية المقدس المتعالي، وان النور الذي خرج مع وضع فاطمة هو ذات النور الذي خلقت منه، وان الملائكة لم يعرفوا النور الذي سطع عليهم من قبل كونه تم اخفاؤه في حقة تحت ساق العرش قبل ان يخلق الله السماء والارض وقبل ان يخلق آدم / بحسب الرواية الشيعية/ كما ان الرواية ارادت ان تؤكد حقيقة الامامة التي هي جوهر المخيال الروائي الذي يسعى الى اثبات حقيقتها الالهية فتتكرر البشارة في كل رواية ، فولادة فاطمة وسطوع النور سوف يمهد الى ظهور الائمة من اهل البيت كون فاطمة هي الرحم الحامل لتلك الذرية الطاهرة التي يكون منها ائمة الشيعة . سئل المفضل بن عمر، الامام الصادق عليه السلام : كيف كانت ولادة فاطمة ؟ قال : أنها استنطقت عند ولادتها ، فنطقت بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن أباه رسول الله ، وأن بعليها سيد الأوصياء ، وأن ولديها سيدا الأسباط (66). ثم ان التصور الشيعي الروائي يمازج بين النورين علي وفاطمة في امر الهي يصدر من السماء بزواجهما (ان الله تعالى أوحى إلى جبرئيل : زوج النور من النور ، وكان الولي الله ، والخطيب جبرئيل ، والمنادي ميكائيل ، والداعي إسرافيل ، والناثر عزرائيل ، والشهود ملائكة السماوات والأرضين ، ثم أوحى إلى شجرة طوبى أن انثري ما عليك فنثرت الدر الأبيض والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر واللؤلؤ الرطب ، فبادرن الحور العين يلتقطن ويهدين بعضهن إلى بعض)(67). اذ تعتقد الروايات الشيعية ان جبرائيل نزل على محمد قائلا له زوج النور من النور ، قال: من ممن ؟ قال : بنتك فاطمة من ابن عمك علي ابن أبي طالب (68).

يتبين ان الحشد الروائي الشيعي المتخيَّل لازمته فكرة ان اصل خلق الائمة من اهل البيت من النور وانهم خلقوا قبل ان تخلق السماوات والارض، وانهم كانوا قبل خلق ادم انوارا تدور حول العرش ثم انهم تحولوا في الاصلااب ينتقلون من صلب الى آخر، وان هذا النور يظهر على وجه آبائهم الذين كانوا يحملونهم ، الى ان تحولوا الى ماء في الاصلااب، لتتكون خلقتهم البشرية، وكان النور يصاحب ولاداتهم باستمرار وان النور لا بد ان يلتقي بالنور اخيرا فكان اقتران علي وفاطمة عودة النور الى النور فقد كان محمد وعلي نورا واحدا انفصلا في الولادة عند عبد الله وابو طالب ليعودا في علي وفاطمة التي تمثل نور محمد.

الخاتمة :

نخلص الى ان المتخيل الشيعي لعب دورا في صنع روايات التي تجعل من ائمة اهل البيت مخلوقات فوق البشر لهم القدرة على عمل المعجزات ، وذلك لانهم خلقوا ليس كما خلق البشر الاخرين ، فهم اشباح نورانية كانت تطوف حول العرش قبل ان يخلق الله ادم بألفي عام ، ثم ان هذه الاشباح انتقلت من صلب الى صلب حتى وصلت اخيرا الى عبد المطلب ، حيث توزعت بين عبد الله ، وابو طالب ، ليصبح ذلك النور محمد وعلي ، ثم ان محمد يضع نوره في فاطمة ، ليمتزج النورين (علي ، فاطمة) من جديد ليضعا الحسن والحسين ، ومنهم يخرج باقي الائمة من اهل البيت . لذلك حاولت تلك الروايات ان تصنع لأهل البيت هذه الخصوصية التي تؤهلهم ان يكونوا ائمة مختلفين عن البشر الاخرين .

الهوامش:

¹ الرد / 23

² الرد / 28

³ الرد / 29

⁴ تفسير القمي ، ج1 ، ص365 .

⁵ الفضل بن عمر الجعفي : ابو عبد الله ضيف متهافت مرتفع القول خطابي .وقيل كوفي فاسد المذهب مضطرب الرواية لا يعبا به ، وقيل كان خطابيا ، ونجد له مدحا من قبل الامام الصادق اذ قال به : (الوالد بعد الوالد) وربما كان هذا الثناء والمدح قبل ان يتحول الى فرقة الخطابية . ابن الغضائري ، رجال بن الغضائري ، ص87 ؛ ابن داود الحلي ، رجال ابن داود ، ص280 .

⁶ المجلسي ، ج25، ص21 .

⁷ المصدر نفسه، ج25، ص21 .

⁸ الصدوق، ثواب الاعمال، ص217؛ المجلسي، بحار الانوار، ج43، ص222.

⁹ حبابة الوالدية : قيل انها تسمى ام الندى بنت جعفر الاسدية الوالدية، وذكرت مصادر الشيعة انها صاحبة الحصاة التي طبع عليها اسم الامام علي واولاده المعصومين الى الامام الرضا ، وانها ادركت الامام علي وعاشت الى ايام الرضا . الارديلي ، جامع الرواة، ج1، ص177؛ الشاهرودي ، مستدركات علم رجال الحديث، ج2، ص290 .

¹⁰ البرقي، المحاسن، ج1، ص147؛ الطوسي ، اختيار معرفة الرجال، ج1، ص332 ؛ الطبري (الشيعي) ، دلائل الامامة، ص187. مع اختلاف في اللفظ (نحن على الفطرة وسائر الناس منها براء) .

¹¹ ابو بصير: يحيى بن القاسم الاسدي ، من اصحاب الباقر والصادق روى عنهما كما روى عن موسى بن جعفر، مات سنة خمسين ومائة للهجرة . النجاشي، رجال النجاشي، ص441 .

¹² المجلسي ، بحار الانوار، ج47، ص392 .

¹³ الكليني، الكافي، ج8، ص285.

¹⁴ شرح الكافي، ج1، ص106 .

¹⁵ المسعودي ، ج1، ص32-33 .

¹⁶ المجوس : قوم يذهبون الى ان الله هو النور الاعلى وهو يزدان ، وان الشيطان هو الظلمة وهو اهرمن . اما المنوية : فهم قوم يذهبون الى قدم النور والظلمة ، وان العالم مركب منهما ، وانهما مطبوعان على الخير والشر . المرتضى ، رسائل المرتضى، ج2 ، ص284 .

¹⁷ الظاهري، الشارات في علم العبارات، ج1، ص27 .

¹⁸ المجلسي، ج15، ص28.

¹⁹ ابن طاووس، اليقين، ص427؛ المجلسي ، بحار الانوار، ج18، ص400 .

20 المنقي الهندي، كنز العمال، ج11، ص431.

21 كشف الخفاء، ج2، ص164.

22 مستدرك سفينة البحار، ج3، ص169 .

23 يو : 8 : 12 .

24 القتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص83 .

25 الطبري، تاريخ الطبري، ج2 ، ص5-6 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج1، ص95-96 .

26 البحراني، مدينة المعاجز، ج2، ص395-396 .

27 سورة الكهف/110 .

28 غافر/ 67 .

29 الانعام/ 2 .

30 النور/ 35 .

31 الكليني، الكافي، ج1، ص389 .

32 القتال النيسابوري ، روضة الواعظين، ص81 .

33 هجر : هي قصبة البحرين، وقيل البحرين قصبتها، وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة . ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج1، ص346.

34 الرواية ذكرت البياض لفارس ولعل المقصود به بياض الوانهم او لان الغالب على اموالهم الفضة، او لكون اراضيهم آنذاك كانت خالية من الزروع، والارض الخراب يطلق عليها البياض ام العامرة بالزراعة فتوصف بالسواد . المازندراني ، شرح اصول الكافي، ج7، ص200 .

35 الكليني، الكافي ، ج1، ص454 .

36 ابن شهر اشوب، مناقب ال ابي طالب، ج2، ص91؛ المجلسي، بحار الانوار، ج38، ص47 .

37 الكليني، الكافي، ج1، ص453 .

38 ينظر : الفخار ، ايمان ابي طالب (الحجة على الزاهب الى تكفير ابي طالب)، ص129 وما بعدها .

39 القتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص80-81 .

40 قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة على ثلاث مراحل ، سميت بالجحفة لان السيل اجتفها وحمل اهلها في بعض الاعوام . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص111.

41 المجلسي، بحار الانوار، ج38، ص47 .

42 قال رسول الله (ص) لعلي (انت مني بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبي من بعدي) الكليني، الكافي، ج8، ص107؛ الصدوق، الخصال، ص239 .

43 ذكرت المصادر ان النبي عندما بعث جمع ال عبد المطلب في داره وعمل لهم وليمة ودعاهم الى الاسلام وقال لهم من يعاضدني على هذا الامر ويكون اخي ووصيي ووزير وخليفتي من بعدي (فلم يبق له احد الا علي بن ابي طالب وكان صغيرا فأعاد النبي ذلك ثلاث مرات وفي كل مرة يقوم لها علي حتى قال هذا اخي ووصيي ووزير وخليفتي من بعدي) المفيد، الارشاد، ج1، ص50؛ المرتضى، رسائل المرتضى، ج4، ص94 .

44 الكافي، ج1، ص454 .

45 ابن شهر اشوب، مناقب ال ابي طالب، ج3، ص124 .

46 القتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص81.

47 الصدوق، الامالي، ص195؛ القتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص76-77؛ المجلسي، بحار الانوار، ج35، ص9 .

- 48 القتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص 84 .
- 49 القتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص 77؛ ابن حاتم العاملي، الدر النظيم، ص 229؛ المجلسي، بحار الانوار، ج 35، ص 10.
- 50 القتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص 77؛ ابن حاتم العاملي، الدر النظيم، ص 229؛ المجلسي، بحار الانوار، ج 35، ص 10.
- 51 الكليني، الكافي، ج 1، ص 389؛ الصدوق، الخصال، ص 428؛ المجلسي، بحار الانوار، ج 25، ص 117 .
- 52 الكليني، ج 1، ص 388.
- 53 الانفطار / 10-11 .
- 54 الطبري، جامع البيان، ج 30، ص 109؛ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج 10، ص 292، السمعاني، تفسير السمعاني، ج 2، ص 111؛ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 20، ص 226 .
- 55 المصدر نفسه، ج 1، ص 387 .
- 56 الكليني، الكافي، ج 1، ص 387-388.
- 57 الصدوق، معاني الاخبار، ص 396 ؛ المجلسي، بحار الانوار، ج 43، ص 4-5 .
- 58 الصدوق، الأمالي، ص 546 ؛ ابن شهر اشوب، مناقب ال ابي طالب، ج 3، ص 114 ؛ المجلسي ، بحار الانوار، ج 43، ص 6.
- 59 كتاب يعطى للعهد ويجمع صكوك . ابن منظور، لسان العرب، ج 10 ، ص 457 .
- 60 الاربلي، كشف الغمة ، ج 1، ص 91؛ القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى، ج 2، ص 67؛ المجلسي، بحار الانوار، ج 27، ص 117، ابن الصباغ، الفصول المهمة في معرفة الائمة ، ج 1، ص 150 .
- 61 سليمان الكوفي، مناقب الامام علي ع ، ج 2، ص 204-205 .
- 62 الطوسي ، الأمالي، ص 257؛ الطبري (الشيعي)، دلائل الامامة، ص 100 .
- 63 الصدوق ، علل الشرائع، ج 1 ، ص 184 ؛ الاربلي، كشف الغمة، ج 2 ، ص 87 ؛ المجلسي، بحار الانوار، ج 43 ، ص 6 .
- 64 الصدوق، الامال، ص 691؛ القتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص 143؛ المجلسي، بحار الانوار، ج 43، ص 2 .
- 65 الصدوق، الامال، ص 691؛ القتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص 143؛ المجلسي، بحار الانوار، ج 43، ص 2 .
- 66 البحراني، مدينة المعاجز، ج 2، ص 258 .
- 67 ابن شهر اشوب، مناقب ال ابي طالب، ج 3، ص 124؛ المجلسي ، بحار الانوار، ج 43، ص 109؛ التبريزي، اللمعة البيضاء، ص 248 .
- 68 الكجوري ، الخصائص الفاطمية، ج 1 ، ص 244 .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم :
- الاردبيلي ، محمد بن علي (ت1101هـ) .
- 1. جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والاسناد ، مكتبة المحمدية (د . ت) .
- الأربلي ، ابو الحسن علي بن عيسى ابن ابي الفتح
- 2. كشف الغمة في معرفة الأئمة ، دار الاضواء (بيروت ، 1405 هـ / 1985م)
- البحراني ، هاشم ، (1107 هـ)
- 3- مدينة المعاجز ، مؤسسة المعارف (ايران 1413م) ..
- البرقي ، احمد بن محمد بن خالد (ت274هـ) .
- 4. المحاسن ، تحق جلال الدين الحسيني (طهران1370هـ) .
- التبريزي، محمد بن علي بن احمد القرجه داغي
- 5- اللمعة البيضاء ، تحقيق هاشم الميلاني، مؤسسة الهادي(قم 1418 هـ) .
- ابن حاتم ، جمال الدين يوسف (ت 664 هـ) .
- 6. دار النظيم ، مؤسسة النشر الاسلامي (قم ، د . ت) .
- ابن داود ، تقي الدين الحسن بن علي الحلبي (ت707هـ) .
- 7. رجال ابن داود ، المطبعة الحيدرية (النجف 1932هـ / 1972م)
- ابن سعد ، محمد بن منيع (ت230هـ) .
- 8- الطبقات الكبرى ، دار صادر (ت ، د . ت) .
- السمعاني ، ابو المظفر منصور بن محمد (ت489 هـ) .
- 9. تفسير السمعاني ، تحق ياسر ابراهيم وغنيم بن عباس (الرياض 1418 هـ / 1997 م) .
- الشاهرودي ، علي النمازي
- 10. مستدركات علم رجال الحديث ، مطبعة شفق (طهران 1412 هـ)
- 11. مستدركات سفينة البحار ، جماعة المدرسين (قم ، 1418هـ)
- ابن شهر اشوب ، ابو جعفر محمد بن علي (ت588هـ) .
- 12. مناقب آل أبي طالب ، الحيدرية (النجف 1376هـ/1956م) .
- الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت381هـ) .
- 13. الخصال ، تحق علي اكبر غفاري (قم 1404هـ) ، ط2 .
- 14. علل الشرائع ، المكتبة الحيدرية (النجف 1386هـ/1966م) .
- 15. معاني الاخبار ، تحق علي اكبر الغفاري ، (قم 1461هـ) .
- 16. ثواب الاعمال ، مطبعة امير (قم ، 1368 هـ)

- ابن طاووس ، رضى الدين علي بن موسى (ت 664 هـ) .
- 17. اليقين باختصاص مولانا علي (ع) ، مؤسسة الثقليين (قم ، 1413 هـ) .
- الطبطبائي ، محمد حسين (ت 1412 هـ) .
- 18. الميزان في تفسير القرآن ، جماعة المدرسين ، (قم ، د . ت) .
- الطبري ، ابو جعفر بن محمد بن جرير (ت 310 هـ) .
- 19. تاريخ الرسل والملوك ، مؤسسة الاعلمي (بيروت . د . ت) .
- 20. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحق خليل الميس ، دار الفكر (بيروت 1415 هـ / 1995 م) .
- الطبري (الشيعي) ، ابو جعفر محمد بن جرير بن رستم (ت ق 4) .
- 21. دلائل الامامة ، مؤسسة البعثة (قم 1423 هـ) .
- الطوسي ، ابو جعفر بن محمد بن الحسن (ت 460 هـ) .
- 22. اختيار معرفة الرجال ، تحق السيد مهدي رجائي (قم 1404 هـ) .
- 23. الامالي ، دار الثقافة (قم 1414 هـ) .
- 24. التبيان في تفسير القرآن ، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي (ايران 1409 هـ) .
- الظاهري ، خليل بن شاهين
- 25. الاشارات في علم العبارات ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1413 هـ / 1993 م)
- العجلوني ، اسماعيل بن محمد (ت 1162 هـ) .
- 26. كشف الخفاء ، دار الكتب العلمية (بيروت 1408 هـ / 1988 م) .
- العاملي ، حسين عبد الصمد (ت 984 هـ)
- 27- وصول الاخبار إلى اصول الاخبار، تحقيق عبد اللطيف الكوهكمري ، مطبعة الخيام (قم 1404 هـ)
- ابن الغضائري ، احمد بن الحسين بن عبد الله (ت ق 5)
- 28. رجال ابن الغضائري ، تحق محمد رضا الجلاي ، دار الحديث (قم 1422 هـ) .
- ابن الفثال ، محمد النيسابوري (ت 508 هـ)
- 29. روضة الواعظين ، تحقيق ، السيد محمد مهدي (قم . لا، ت) .
- الفخار ، شمس الدين بن معد الموسوي اهب الى تكفير ابي طالب (مطبعة امير (قم ، 1410 هـ)
- 30. ايمان ابي طالب (الحجة على الذ
- القندوزي ، سليمان بن ابراهيم
- 31. ينابيع المودة لذوي القربى ، دار الاسوة (بيروت ، 1416 هـ)

- القمي ، ابو الحسن علي بن ابراهيم
- 32. تفسير القمي ، دار الكتاب (قم ، 1404 هـ)
- كجوري ، محمد باقر (ت 1313 هـ) .
- 33. الخصائص الفاطمية (ايران 1380 هـ) .
- الكليني ، ابو جعفر محمد بن يعقوب (ت 329 هـ) .
- 34. الكافي ، تحق علي أكبر غفاري ، دار الكتب الاسلامية (طهران ، 1363 هـ) ط 5
- المازندراني ، محمد صالح (ت 1081 هـ) .
- 35. شرح اصول الكافي ، دار احياء التراث العربي (بيروت 1421 هـ / 2000 م) .
- المتقي الهندي ، علاء الدين علي (ت 975 هـ) .
- 36. كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، مؤسسة الرسالة (بيروت 1409 هـ / 1989 م) .
- المجلسي ، محمد باقر (1111 هـ) .
- 37. بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار ، تحق ، السيد إبراهيم
- المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي (ت 436 هـ)
- 38. رسائل المرتضى ، مطبعة سيد الشهداء (قم 1405 هـ) .
- 39. الامالي ، منشورات المرعشي (قم ، 1325 هـ / 1907 م)
- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين .
- 40. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المكتبة العصرية (بيروت ، 1987 م)
- المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان (ت 413 هـ) .
- 41. الارشاد ، دار المفيد ، (بيروت 1414 هـ / 1993 م)
- ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين (ت 711 هـ) .
- 42. لسان العرب ، نشر ادب الحوزة (قم 1405 هـ) .
- النجاشي ، ابو العباس احمد بن علي بن احمد الاسدي الكوفي (ت 405 هـ) .
- 43. رجال النجاشي (قم 1416 هـ) ، ط 5 .
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله (ت 626 هـ) .
- 44. معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي (بيروت 1399 هـ / 1979 م)